اجتهادات حول صراعات «الإخوان»؟

فتح خروج بعض صراعات جماعة «الإخوان» إلى العلن شهية الكثير من وسائل الإعلام لنشر تقارير يبدو معظمها معتمداً على مصدر واحد للمعلومات. غير أن ما يجرى تداوله حتى الآن لا يكفي لتكوين صورة واضحة عن حجم هذه الصراعات، ولا يتيح استسهال القفز إلى أنها تتفكك وتقترب من نهايتها. ولذلك ربما يكون مفيداً أن تعود إلى حالات سابقة اشتعلت فيها صراعات داخل جماعة «الإخوان» بسبب خلافات على كيفية إدارة أزمات كبرى مرت بها.

وتفيد العودة إلى التاريخ هنا في التنبيه إلى أمرين يجدر وضعهما في الحسبان عند تحليل ما يحدث في جماعة «الإخوان» الآن. أول هذين الأمرين هو أن الصراع يحتدم في داخل هذه الجماعة، كلما تعرضت لضربات أمنية مؤثرة، كما حدث خلال الأزمة التي بدأت بحلها في ديسمبر 1948، وعلى مدى السنوات التي اصطدمت فيها بسلطة ثورة 1952.

ووصل الأمر في بعض اللحظات إلى حد العراك داخل السجن عشية عدوان 1956 على مصر، عندما وجد بعض قادتها أن بوادر هذا العدوان تتيح فرصة للاتصال بالسلطة والسعي إلى التصالح تحت شعار «توحيد الصف».

ويروى على عشاوى، الذى يعتبره البعض آخر قادة النظام الخاص للجماعة فى مذكراته المنشورة فى «دار الهلال» عام 1993 أن (صداماً شديداً حدث بين «الإخوان» فى الواحات، وبينهم عدد من القادة وأعضاء مكتب الإرشاد، بسبب رغبة بعضهم فى الاتصال بالحكومة ومحاولة تصفية الخلاف، بينما رفض بعضهم الآخر..).

ويصل فى روايته إلى أن (مناقشات جدلية دارت بينهم أدت فى النهاية إلى معركة جُرح فيها عدد كبير من الإخوان..)، وأن هذا الصدام انتقل إلى باقى السجون حيث (كان اضطهاد من اتهموا بتأييد الحكومة شديداً)، على حد تعبيره.

أما الأمر الثانى، الذى يساعد فى فهم لماذا لم يؤد مثل هذا الصدام إلى تفكك الجماعة، فهو أن الصراعات تحدث بين مجموعات تظل محدودة، مهما زاد عددها، فى الوقت الذى يلجأ الجسم الأساسى فى التنظيم إلى الكمون، أو تقديم مساعدات للناشطين عن بُعد أو بأشكال غير مباشرة. ويظل الجميع، باستثناءات قليلة، على «بيعتهم» للمرشد العام الذى كان يلتزم الصمت فى بعض الحالات أو ينحاز برفق إلى أحد أطراف الصراع، كما فعل حسن الهضيبى عندما وضع اسمه على كتاب «دعاة لا قضاة» فى منتصف الستينيات.